العنف والارهاب
(دراسة سوسيو– انثروبولوجية في مدينة بغداد – منطقة الدورة إنموذجاً)

م.م. سناء صالح عبد علي

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم الانثروبولوجيا والاجتماع

E.mail: sanaasaleh@uomustansiriyah.edu.iq
sanaay80@yahoo.com

تاريخ الاستلام : ٢٠١٩/٦/١

تاريخ القبول : ٢٠١٩/٦/٢٥

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

المُلخص :

مشكلة العنف والارهاب من أكبر المشكلات التي تعاني منها المجتمعات في عالمنا المعاصر، ويتفاوت حجم هذه المشكلة من مجتمع لأخر تبعاً لثقافة وخصائص كل مجتمع من المجتمعات، فمظاهر العنف والارهاب تعد اليوم من أبرز الظواهر الخطيرة التي تهدد الأمن الانساني للمجتمعات كافة، لذا أصبحت موضع اهتمام كبير على المستوى الدولي والعالمي.

العنف والارهاب الذي تقوم به الجماعات المسلحة في عراقنا الجديد بعد عام ٢٠٠٣ من أخطر المشكلات التي يواجهها المجتمع في تاريخنا المعاصر، فقد خلف عشرات الآلاف من الضحايا من مختلف الطوائف والديانات في العراق، فهذه الظاهرة تدفعنا للوقوف عندها، والبحث في مختلف جوانبها وحيثياتها، لا سيما أنها احتلت الصدارة في عالمنا من متجهه السياسي والامني والاعلامي، وأصبح العنف مصدراً للقلق والتهديد الامني والتقني والاجتماعي والسياسي الذي نحلم أن ننعم به مقارنة بباقي الشعوب المستقرة أمنيا (سياسياً وإقتصادياً).

البحث عن عوامل العنف المسلح والارهاب يعد مهمة شاقة ، فلا توجد صورة واحدة للعنف، وليس هناك عامل واحد يقف وراء ذلك ، وعند البحث عن عمق هذه العوامل نجدها تختلف باختلاف اتجاهات وتفسيرات العلوم والمعارف ، فعلماء الاجتماع والانثروبولوجيا يرون أن مشكلة العنف مرتبطة بالإنسان منذ الأزل ولا يمكن ارجاعها الى أسباب نفسية أو اقتصادية فحسب بل الى عوامل أسهمت في بروزها، فالعنف يختلف باختلاف الأفكار والثقافات والأنظمة والمراحل التاريخية.

الكلمات المفتاحية : العنف ، الارهاب ، الجهاد.

Violence and Terrorism
(Socio-Anthropological study in Baghdad/Al Doura A case Study)

Asst.Instructor. Sanaa Salih Abd Ali
University - college of Arts -Department of Anthropology and Sociology
E.mail: sanaasaleh@uomustansiriyah.edu.iq , sanaay80@yahoo.com

Received : 1/6/2019

Abstract

Violence and Terrorism are regarded the biggest problems facing societies in our modern world. The size of this problem varies from one society to another according to the culture and characteristics of each society. The manifestations of violence and terrorism today are among the most serious phenomena that threaten the human security of all societies at the international and international levels.

Violence and terrorism by the armed groups in our new Iraq after 2003 are one of the most serious problems faced by society in our contemporary history, which resulted in tens of thousands of victims of different sects and religions in Iraq. This phenomenon leads us stop and discuss, the violence has become a source of concern and the security, technical, social and political threat that we aspire to enjoy compared to the rest of the stable peoples (politically and economically).

The search for the factors of armed violence and terrorism is a hard task. There is no single picture of violence. There is no single factor behind this. The search for the depth of these factors is different according to the different directions and interpretations of science and knowledge. The sociologists and anthropologists believe that the problem of violence is linked to man since eternity, and it can't be traced back to psychological or economic reasons, but to factors that contributed to their emergence. Violence varies according to different ideas, cultures, systems and historical stages.

Key words: Violence، Terrorism، Jihad.

المُقدمة:

قال تعالى في كتابه الكريم : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً)) صدق الله العظيم .

مشكلة العنف والارهاب من اكبر المشكلات التي تعاني منها المجتمعات في عالمنا المعاصر، ويتفاوت حجم هذه المشكلة من مجتمع لآخر تبعاً لثقافة وخصائص كل مجتمع من المجتمعات، فمظاهر العنف والارهاب تعد اليوم من أبرز الظواهر الخطيرة التي تهدد الامن الانساني للمجتمعات كافة، لذا اصبحت موضع اهتمام كبير على المستوى الدولي والعالمي .

بسبب القلق المتزايد لهذه المجتمعات من الهجمات المسلحة والانتحارية التي تتعرض لها بلدانهم بين مرحلة وأخرى مخلفة الآلاف من الضحايا فضلاً عن الدمار والخراب الذي تسببه هذه الهجمات. والمجتمع العراقي اليوم هو أحد هذه المجتمعات التي تعيش حالة العنف والارهاب المسلح الذي ظهر بعد انهيار النظام السابق في ٢٠٠٣/٤/٩، ما أدى الى متغيرات واضحة في المجتمع العراقي.

برزت أكبر معالم هذا التغيير في حالة الفوضى والاضطراب وفقدان المعايير فضلاً عن العنف الطائفي في ظل الصراعات السياسية والتدخلات الاقليمية وظهور الميليشيات المسلحة، هذا كله قد أدى الى قلة التماسك الاجتماعي بين مكونات المجتمع وتزعزع الثقة بالآخر. و ظهور هذه المظاهر زاد الوعي بمخاطر العنف وآثاره السلبية على بنية المجتمع العراقي.

جاءت دراستنا هذه محاولة للإحاطة بهذه المشاكل من خلال التعرف على جذورها ومرجعياتها وصورها المختلفة، ومن ثم تشخيص دوافعها والأسباب المؤدية لها والظروف التي اسهمت في ازدياد حدتها بهدف التوصل الى المقترحات والتوصيات التي من شأنها الحد من هذه الظاهرة. لذلك سنحاول في هذه الدراسة الكشف عن هذه المظاهر بشكل واقعي ومن ثم تحليلها وتفسيرها.

الفصل الاول : عناصر الدراسة النظرية ومفاهيمها العلمية

المبحث الأول / عناصر الدراسة :

أولا: مشكلة الدراسة (study Problem) : في الدراسة الانثروبولوجية تكون هناك تساؤلات للدراسة تهدف الى معرفتها والتوصل الى الاجابات عنها من الميدان وفي دراستنا الحالية تساؤلات عديدة منها:

١- ما العوامل و الأسباب وراء العنف في العراق بعد عام ٢٠٠٣م؟
٢- هل حالة العنف في العراق قد خلقتها الظروف والأزمات المتكررة في البلاد؟
٣- ما أبرز الجماعات التي تقف وراء العنف و العمليات الانتحارية في العراق؟
٤- هل العنف الذي يستهدف الابرياء من العراقيين جهاد أو ارهاب؟
٥- هل الطوائف العراقية تجيز استخدام العنف ضد الآخر؟
٦- ما الأداة الأفضل لمنع دخول قوات الاحتلال من البلاد؟
٧- هل هنا تدخل من دول الجوار في الشأن الداخلي؟
٨- هل تعدد الطوائف في العراق يحفز نشوء العنف؟

٩- لماذا تعد الدورة من المناطق التي شهدت ارتفاعاً في مستويات العنف؟

١٠- هل ما زالت هناك مظاهر عنف في منطقة الدورة؟

ثانياً: أهمية الدراسة (Study Importance) :

تتناول هذه الدراسة موضوعاً مهماً وخطيراً في الوقت نفسه ، فهو لم يلق اهتماماً كافياً من المعنين الا في الآونة الاخيرة لا سيما بعد انتشار مظاهر العنف الدموية في أرجاء العالم وبشتى الصور، وعلى الرغم ذلك لم نجد دراسة ميدانية شاملة متكاملة في هذا الموضوع على الرغم من أهميته ؛ إذ أن العنف موجود منذ القدم ، فهو ليس وليد اللحظة أو الساعة أو الظروف الراهنة، فهو ظاهرة قديمة بقدم البشرية عرفها الانسان منذ نشأته ، حين قتل (قابيل) أخاه (هابيل) ارضاءاً لشهواته وطاعة لنفسه، قال تعالى: (فطوعتْ لهُ نفسُهُ قتلَ أخيهِ فقتلُهُ فأصبَحَ مِنْ الخَاسِرينَ)، ومنذ ذلك الحين برزت مظاهر العنف والعدوان البشري وتنوعت من حيث طبيعتها أو شدتها وآثارها على الفرد والمجتمع.

أما الاعتبارات العلمية فتتمثل في أنه بحث يعالج موضوعاً حيوياً بقصد الوقوف على حجم المشكلة وعواملها وأسبابها، فالعنف ظاهرة خطيرة تهدد المجتمعات برمتها إذا ما حل بها العنف. ولا أبالغ عندما أقول إن العنف والإرهاب أصبح حديث مجتمعنا في الصباح والمساء ، والأمن والاطمئنان هدفه المنشود.

ثالثاً: أهداف الدراسة (Study objectives):

نسعى من خلال دراستنا الى معرفة جذور العنف والارهاب في المجتمع العراقي وآثارها في حياة الفرد والمجتمع في المرحلة الحالية.

إذ أن دراسة هذه الظاهرة وتحليلها ليس سهلاً، بل يتطلب دراسات مستفيضة لمعرفة الحقائق العلمية المتعلقة بالعنف.

رابعاً : صعوبات الدراسة : لقد واجهت اثناء عملية البحث بعض الصعوبات، وكانت بحسب الآتي :

١- قلة الدراسات العراقية الميدانية التي تناولت موضوع العنف والارهاب من حيث تاريخه وجذوره والعوامل المؤدية اليه سواء في علم الاجتماع او الانثروبولوجيا.

٢- عدم وجود احصائيات متكاملة عن نتائج العنف سواء في المؤسسات الحكومية التي تمكنت من الوصول الى بعضها أو منظمات المجتمع المدني ومواقع الانترنت.

٣- البيانات التي توصلت إليها من مصادرها أو من مواقع الانترنت اغلبها بيانات خاصة او فيها شيء من السرية ولا يمكن اعطاؤها بسهولة، واحتجت لوقت ليس بالقليل مع جهد كبير متواصل حتى تمكنت من الحصول على بعضها.

٤- من صعوبات البحث أن الامن في هذه المنطقة ما زال هشاً فهناك بقايا لبعض العمليات الارهابية والحواضن المقلقة لأمن المنطقة، لكن بالتعاون مع معارف ومتعاونين هناك، تخطي هذا العائق لاستكمال البحث الذي استمر العمل فيه لسنوات طوال.

٥- عدم استجابة بعض الافراد في منطقة الدراسة أثناء المقابلة معهم، إذ لا يزال هناك مخاوف لدى الباحثين من التطرق الى هذهِ الموضوعات.

المبحث الثاني / المفاهيم العلمية للدراسة :

اولاً: الثقافة (Culture):

الثقافة في اللغة، هي من تثقف الشي ثقفاً وثقافاً وثقوفه أي حذقه، ورجل ثقف أي حاذق فهم أو سريع التعلم ، والثقافة عند العرب: أي حديدة تكون مع الأقواس والرماح يقوم بها الشيء المعوج. (ابن منضور،١٩٨٨، ص٣٦٤-٣٦٥).(Ibn Mnadour,1988,p364-365)

يتفق علماء الانثروبولوجيا الثقافية (Cultural Anthropology) على أن الثقافة هي موضوع علمهم لكنهم يختلفون في تعريفها ، فقد احصى العلماء ما يزيد عن (١٥٠) تعريفاً لمفهوم الثقافة، إذ قاموا بجمع عدد كبير من التعريفات (وصفية- سيكولوجية- بنائية)، وفي نهاية القرن التاسع عشر كان هناك اتفاق على الأخذ بالتعريف المشهور الذي وضعه الانثروبولوجي البريطاني (ادورد تايلر)(Edward Tylor) في كتابه (الثقافة البدائية) (Primitive Culture)، وعرف الثقافة بأنها: (ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفنون والاخلاق والقانون والعادات وكل القدرات الاخرى التي يكتسبها الانسان بوصفه عضواً في ذلك المجتمع). (أبو زيد، ١٩٧٨،ص٤١-٤٢)،(Abu Zeid,1978,p41-42)

ثانياً: العنف (Violence):

صعوبة تعريف العنف أمر يعاني منه بصورة خاصة علماء الاجتماع والانثروبولوجيا . لأنه يختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى ففي نظام افريقي معين يعد تقديم الذبائح البشرية امراً

طبيعياً ولا يمكن وصفه بالعنف لذا فإن العنف يتعلق بنظام معايير الجماعات وفي هذا الأمر يجب معرفة نظام القيم الذي يتبناه مجتمع معين.

١. المفهوم اللغوي: العنف في اللغة مأخوذ من الجذر اللغوي (عنف) ويعني كل فعل أو سلوك يتضمن الشدة أو التوبيخ فهو الخرق بالأمر ، وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق ويعني الاستخدام غير المشروع للقوة المادية بأساليب متعددة لإلحاق الاذى بالاشخاص او الاضرار بممتلكاتهم. (ابن منضور،١٩٨٨، ص٩.٣) (Ibn Mnadour,1988,p3-9).

٢. المفهوم السياسي: يعرف العنف سياسياً (Political Violence) ، بأنه أعمال التمزيق والتدمير والاضرار كافة ويكون غرضها واختيار أهدافها أو ضحاياها وآثارها ذا دلالات سياسية.

ويعرف ايضاً بأنه: التهديد في استخدام القوة لتحقيق أهداف سياسية بشكل يأخذ الأسلوب الفردي أو الجماعي السري أو العلني المنظم أو غير المنظم. (زحلاوي، ١٩٨٥، ص٨٢).(Zahlawi, 1980,p82)

ثالثاً: الإرهاب (Terrorism) :

يعد الارهاب في عالمنا اليوم من أبرز مظاهر العنف المسلح حتى أن عبارة (الحرب ضد الارهاب) و(مكافحة الارهاب) تعد من أكثر العبارات تداولاً في الأدبيات السياسية نظراً لخطورته على حياة وأمن شعوب العالم وتأثيره السلبي على الصعد كافة والمستويات . من هنا نالت هذه الظاهرة اهتماماً اقليمياً ودولياً الا أن المشكلة التي تواجه الباحثين في شتى المجالات هو صعوبة تعريف ثابت أو جامع للإرهاب . نظراً لتعدد أشكاله ودوافعه ومنطلقاته ، إذ أن أعمال العنف عند بعض الدارسين تعد مقاومة وحقاً مشروعاً، له مسوغاتها ومبرراتها بينما تعد هذه الاعمال نفسها ارهاباً واجراماً وانتهاكاً في نظر آخرين مهما كانت مبرراتها.

تاريخ عبارة (الارهاب Terrorism) لا تتعدى بدايتها نهاية القرن الثامن عشر أبان الثورة الفرنسية وتحديداً عام ١٧٩٤م وكلمة الارهاب مشتقة من (الرهبة Terrier) وهي بمعنى (يرتعد أو يرتجف) فهي تشير الى الخوف والاضطراب أو الخطر القريب. وقد وردت لفظة الارهاب في القرآن الكريم بصيغ واشتقاقات مثل (يرهبون ، فإرهبون ، رهباً ، الرهب ، استرهبهم).

أما الارهاب في الاصطلاح السياسي فإنه: محاولة لنشر الذعر والفزع لأغراض سياسية وهو وسيلة تعتمدها الحكومات الاستبدادية الإستنفاعية على حساب شعوبها، لإرغام الشعب على الخضوع والاستسلام وإشاعة الرضوخ لمطالبها التعسفية .

أما تعريف الامم المتحدة فهو: الاعمال كافة التي تعرض أرواحاً بشريةً بريئةً للخطر او تهدد الحريات الاساسية وتنتهك كرامة الانسان. (الفتلاوي، ٢٠٠٢، ص١٥)

(Al-Fatlawi, 2002,p15)

رابعاً: الجهاد (Jihad):

الجهاد في الاصطلاح، يعرفه العلماء بأنه استفراغ الواسع في مرافعه العدو ،وللجهاد ثلاثة أصناف هي:

١. مجاهدة العدو. ٢. مجاهدة الشيطان. ٣. مجاهدة النفس.

وتدخل الاصناف والمعاني جميعها تحت (قوله تعالى) : "وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابراهيم خو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة واتو الزكاة واعتصموا بحبل الله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير" (الحج/ ٧٨)

ما يؤكد هذا التنوع في مفهوم الجهاد أن الرسول الاكرم (ص) قال بعد قدومه من إحدى الغزوات مخاطباً أصحابه (قدمتم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر، قالو يارسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس).

قاعدة الحرب والجهاد وفق النظرية الاسلامية هي قاعدة استثنائية ذات موارد محددة ومشروطة ، فالأصل في العلاقات الانسانية هو السلام والتعاون بين الشعوب كافة، وكما يقول تعالى: "يا أيها الذين امنو ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدواً مبينا"(البقرة/٢٠٨)

فلا يجوز القتال وشن الحرب على الاخرين في نظر الاسلام الا في حالات معينة، كالدفاع عن النفس والعرض والمال أو عند التعرض للظلم والتعذيب والاعتداء. (الفتلاوي، ٢٠٠٢، ص٨٢). Al-Fatlawi, 2002,p82)

خامساً: المقاومة (Resistance):

على الرغم من أن مفردة المقاومة محدودة الاستعمال والتداول في معاجم اللغة الا أنها مشتقة من الفعل (قَوَمَ) ، قال ابن منظور في لسان العرب : ما زلت أقاوم فلاناً في هذا الأمر أي أنازعه. فهي تأتي بمعنى المنازلة ، والوقوف بوجه الطرف الآخر.

أما في الاصطلاح السياسي للمقاومة (Resistance) فإنها: الوقوف ضد الاعتداء سواء كان مصدره قوة اجنبية غازية أو قوة داخلية مستبدة .

و عرفت الموسوعة السياسية (المقاومة الشعبية): كافة أعمال الرفض السياسي وغير السياسي التي يقوم بها شعب من الشعوب ضد مختلف أشكال الاستعمار والاحتلال والطغيان على وطنه ومصالحه. والمقاومة المسلحة مصطلح حديث ارتبط بوجود القوة الاستعمارية في البلدان العربية والاسلامية وممارساتها التعسفية ضد ابناء تلك البلدان.

فالمقاومة بأشكالها السلمية والمسلحة كافة هي حق مشروع لكل الدول والشعوب التي تعاني من الظلم الداخلي والاحتلال الاجنبي بالاستناد الى حق تقرير المصير الذي تستند اليه المقاومة في شرعيتها.(عطية،١٩٦٨، ص٤٥)، (Attieh,1968,p45)

سادساً: الاحتلال (Occupation):

يظهر الاحتلال عندما تقوم الدولة بإستخدام قواتها المسلحة للهجوم على دولة اخرى وقد نجحت هذه الدولة باحتلال (جزء أو كل) من إقليم دولة وقع عليها الهجوم ، فهو هجوم مسلح مضاف اليه السيطرة على الاقليم.

من هنا يوصف القانون بالمقاومة ضد الاحتلال بـــ (الثوار) ويطبق عليهم القانون الدولي في عمليات مقاومتهم للاحتلال. وهذا حق شرعي وقانوني للشعوب اذا ما حصل اعتداء على أمنها وحريتها وكرامتها لتقرير مصيرها. (الفتلاوي،٢٠٠٢، ص٢٦٢)، (Al-Fatlawi, 2002,p262).

ومن خلال اطلاعي ودراستي لهذا الموضوع بشكل معمق أستطيع أن أحدد عدة فروق بسيطة بين معنى مفهومي (الارهاب) و(الجهاد) ومن هذه الفروق.

الارهاب	الجهاد
١.لا دين له ومصدره التشدد والتطرف. ٢. غايته اشاعة الرعب والخوف والدمار. ٣.عمله سري وقائم على اساس الغدر والخيانة ويقتل حتى المشتبه بهم. ٤. ليس لديه قيادة موحدة، بل هو عبارة عن جماعات مسلحة ومتطرفة.	١. دينه الاسلام ومصدره القرآن والسنة النبوية. ٢.غايته الدفاع عن الاسلام والمسلمين ولا يشرع الا في حالة وقوع الاعتداء. ٣.عمله علني ولا يعتمد على الغدر والخيانة ولا يقتل أحد عند الاشتباه به. ٤. يعلنه (إمام المسلمين) او حاكمهم الشرعي فهو عمل جماعي لا فردي.

الفصل الثاني : إطار الدراسة المرجعي

المبحث الاول / العنف في الفكر الانثروبولوجي:

لقد حظي موضوع العنف بإهتمام العديد من علماء الانثروبولوجيا والاجتماع ابتداءاً من (ابن خلدون) مؤسس علم العمران البشري وانتهاءاً باللحظة العلمية الراهنة. ومنذ ذلك الحين اهتم العلم والعلماء بمعرفة ودراسة السلوك العنفي ، وهل أنه متأصل في الطبيعة البشرية أم إنه دافع مكتسب من البيئة المحيطة بالإنسان.

ويأتي هذا الاهتمام بالعنف لأن معركته لا زالت قائمة ومستمرة وعلى الرغم من تطور الانسان على كافة الاصعدة والمستويات الا أن نيران العنف ما زالت موجودة في ارقى المجتمعات . بل ان الحضارة الجديدة ساهمت بشكل او بأخر بإزدياد اعمال العنف وطورت من ادوات واساليب العنف والجريمة، اذ استطيع ان اقول ان العنف هو التهديد الاكبر لا من الانسان بكل صوره واشكاله. فأمن الانسان هو الخطوة الاساسية نحو التنمية حيث ان استقرار الانسان النفسي والاجتماعي والسياسي يوفر جواً مناسباً للتنمية والاستثمار فالعنف يهدد كيان الفرد والمجتمع على حد سواء.

من هنا جاء اهتمام رجال الانثروبولوجيا والاجتماع بهذه الظاهرة التي صاحبت الانسان ولازمته في وجوده على الرغم من تغير الزمان والمكان والثقافة ، وقد جاءت هذه الآراء والتفسيرات للعنف مختلفة وأهمها:

١. ابن خلدون: يرى أن العنف نزعة طبيعية وأنه جزء من الطبيعة البشرية ، ومن أخلاق البشر الظلم والعدوان وأن الصراع هو هجوم البدو على الحضر ، وتعني العصبية القبلية. (الالتحام الذي يوحد صلة رحم حتى تقع المناصرة). (إبن خلدون، ج ٢، ٤٨٢). (Bin Khaldun, C 2;482)

٢. نيتشه: يعتقد أن الحياة الاجتماعية مستمرة في التغير والتغيير وأن حياة الانسان لا تستطيع أن تحيا الا على حساب حياة أخرى ،لأن الحياة والنمو والرغبة في زيادة الاقناء تكون عن طريق السطو والاستيلاء على الآخرين ، وهذا يتطلب استعمال العنف لاستغلال واغتصاب حقوق الاخرين فمنطلق الحياة ، العنف والقوة والتسلط والاخضاع.

٣. فردريك أنجلز: أوضح أن نظرية العنف ظهرت خلال الشرح المكرس للاقتصاد السياسي وأن الاستعباد يشكل المنشأ لمجمل التاريخ وان الملكية المؤسسة على العنف بقيت سائدة الى يومنا هذا وهي مؤسسة تقوم على العمل الإستعبادي البدائي.

٤.كارل ماركس: انصب اهتمامه على العنف الثوري ومن خلاله تناوله للصراع ربط ماركس بين كل من التغيير والصراع مؤكداً على الدور الايجابي الذي يؤديه العنف في حركة التاريخ فالصراع يشير الى وجود خلل في البنى الاجتماعية أما العنف فهو شرط أساسي لتجاوز هذا الخلل ولإحداث هذا التغير، فهو الاداة التي تحل بوساطتها الحركة الاجتماعية مكانها وتحطم اشكالاً سياسية جامدة وميته.

٥. أميل دوركهايم: أكد أن العنف ظاهرة ثقافية أتت مع رياح التطور الاجتماعي ومع تحول المجتمعات الانسانية كم مجتمعات بسيطة الى مركبة. (زحلاوي، ١٩٨٥، ص١٢). (Zahlawi, 1985,p12)

ومع تزايد واتساع المعلومات الانثروبولوجية شيئاً فشيئاً تزايد الاقناع العلمي للباحثين بأن العنف من ثوابت الواقع الانساني بغض النظر عن تعدد اشكاله وتفاوت مستوياته. وهذا الانطباع قائم على احصائيات جرائم العنف والقتل والاعتداء الذي ازداد في عالمنا المعاصر منذ الثورة الصناعية والحضرية الحديثة وتعقد الحياة معها. فالعنف في عالمنا اليوم يمثل اطروحة كبرى في علم الاجتماع والانثروبولوجيا ،لأنه يتعلق بالانسان وصراعه مع غيره .(جميل، ٢٠٠٧، ص١١). (Jamel, 2007,p11)

المبحث الثاني / مرجعيات في الشخصية العراقية:

كثيراً ما يقال عن الشخصية العراقية أنها شخصية (طيبة ومحبة للخير والسلام ، وعطوفة وغيورة، ومتسامحة وكريمة وصبورة وغيرها من الصفات الخلقية الرفيعة)، لكن على الرغم هذه الصفات الحميدة في الشخصية العراقية، فإن ذوي الاهتمام بهذا الموضوع ، اثبتوا من خلال دراستهم ومعايشتهم للمجتمع العراقي ان الشخصية العراقية شخصية عنيفة نسبياً تميل في ظروف معينة نحو العنف والاعتداء على الآخر لافتقارها الى ثقافة الحوار الجيد الهادئ بالتعبير عن مطالبها. و الغالبية لا تعترف بالخطأ حال وقوعه ، خالقة شتى الاعذار والمسوغات لذاتها (الانا الاعلى) في ممارسة العنف. فالعنف حاضر بقوة في بلادنا ومجتمعنا على مر العصور بل هو حاضر حتى في حواراتنا ومجالسنا ولعب اطفالنا وقصائد التي نحب.

المجتمع العراقي ليس متفرداً بظاهرة العنف ، بل إن هناك مجتمعات يشكل العنف سمة ثقافية بارزة فيها، فهناك حمامات من الدماء جرت في الماضي، وما آلت تجري في مختلف بقاع العالم مثل العنف الدموي الذي ساد في أوربا في القرون الوسطى والحروب الأهلية في الولايات المتحدة الامريكية والجزائر ولبنان وافغانستان وباكستان وغيرها من الدول.

فالعنف ليس موجود في بلدنا العراق فحسب بل هو حاضر في الدول والمجتمعات كافة القديمة منها والحديثة، المتقدمة منها والنامية ،لكن بنسب متفاوتة ومع اشتداد العنف في العنف وتصاعد وتيرته بعد سقوط النظام السابق في ٢٠٠٣/٤/٩م، اذ كثرت المقالات والبحوث لتفسير العنف في العراق ، وظهرت أبرز مرجعيات العنف في العراق حسب أداء العديد من المفكرين والعلماء بأنها لا تعود فقط الى (صراع البدو والحضر) فحسب بل ان هناك أسباب أخرى أقوى وأشد تأثيراً من هذا. (سلوم، ٢٠٠٨، ص(٤-٦)، (Salloum, 2008,p4-6).

هذه الاسباب بحسب الاتي:

١. الصراع على السلطة: البذرة الاولى للعنف في الشخصية العراقية كان بعد ظهور الاسلام حسب رأي بعض العلماء وبداية الصراع على السلطة خاصة بعد أحداث كربلاء، أي بعد مقتل الحسين (ع) من الدولة الاموية فأصبحت هناك جبهتان ، إحدهما جبهة السلطة والاخرى جبهة العامة من الناس، وكل واحدة ترى نفسها على حق الاخرى على باطل ، فجبهة السلطة ترى ان الخليفة او السلطان هو ظل الله في عباده وان طاعته واجبه وما على الناس الا طاعته والخضوع والصبر،

وهكذا لوت السلطة الدين وجعلته في خدمة السياسة ، أما جبهة العامة من الناس فترى أن السلطة مغتصبة للحكم وأن الاطاحة بها واجب لأنهم ارتكبوا الظلم والاضطهاد بحق الناس، وقد حرجوا على تعاليم الدين، ومن هنا نشأت قطيعة بين الجبهتين (السلطة والناس).

بذلك مارست السلطة ثقافة العنف والقتل والرعب، بل لاقى العراقيون أشد ألوان القتل والصلب والتقطيع والتمثيل بالجثث، ويشير التاريخ الى أن السلطات التي تعاقبت على العراق قد سفكت دماء العراقيين لأكثر من (١٣٠٠) سنة حتى ان بعض من حكموا العراق كان لديهم في قصورهم خزائن كانت تحفظ بها رؤوس خصومهم وأعدائهم بعد قتلهم. (الصالح، ٢٠٠٨).

(Al-Saleh2008, at http://www.radiodijla.com)

٢. الصراع الطائفي في العراق : يتولد هذا النوع من الصراع من خلال الاقصاء الطائفي أو التهميش لطائفة معينة من السلطة وإبعادها عن مراكز الحكم والقرار السياسي أو يكون نتيجة تصارع دولتين مختلفتين في العقيدة ، وهذا ما ابتلى به العراقيون إذ ان الصراع الطائفي كان موجوداً في العراق منذ صدر الاسلام.

٣. وجود الاجنبي: تثير احتلالات المتكررة على العراق الاحساس بالذلة والاهانة عند ابن البلد، ما يدفعه الى رد الاعتبار النفسي والوطني ، وذلك من خلال العنف ضد المحتل أو المتعاونين معه بالسلطة والمصالح والتاريخ. (الصالح، ٢٠٠٨)، (Al-Saleh2008,at http://www.radiodijla.com)

المبحث الثالث / مؤشرات العنف في المجتمع العراقي بعد عام ٢٠٠٣م :

شهد العراق بعد انهيار السلطة في عام ٢٠٠٣م عنفاً منقطع النظير، إذ تحول العنف من (السلطة تجاه المجتمع) وبالعكس الى عنف بين مكونات المجتمع العراقي. إذ اتخذ العنف طابعاً طائفياً وسياسية لا سيما بعد التفجيرات التي حدثت (للمرقدين العسكريين) في مدينة سامراء في ٢٠٠٦/٢/٢٢ و تؤكد المؤشرات أن العنف ازداد بشكل كبير وقف بشكل غير متوقع بعد هذه الاحداث الكارثية. و حصد العنف أرواح الآلاف من الناس فنار العنف لا تعرف الرحمة على الصغير أو الكبير ، رجالاً ونساءاً، البريء والمدان ، فانتشرت مظاهر العنف في كافة المحافظات العراقية لتشتمل على المجتمع بأسره بكل أديانه وطوائفه ومذاهبه وقومياته الا أن العنف كان نتيجة الخسارة والكل به خاسر. ويتضح من خلال المؤشرات والبيانات، أن الاعوام (٢٠٠٦-٢٠٠٧-٢٠٠٨) هي الأشد عنفاً والأكثر دموية، إذ اصبحت الجماعات المسلحة تقتل وتهجر

على الهوية والانتماءات الطائفية والمذهبية والعرقية ، فأصبحت لدينا مناطق عنف ساخنة يسكنها مختلف الاطياف العراقية وهي المناطق التي تتوجد فيها الجماعات المسلحة والخارجة عن القانون التي تتخذ هذه المناطق قاعدة لشتى عملياتها ذات الطابع الطائفي.

أما بعد ٢٠٠٨ فالمؤشرات تدل على انخفاض مستوى العنف المسلح نسبياً نتيجة خطة فرض القانون والعمليات الامنية ضد المسلحين والقيام بعمليات المصالحة الوطنية بين مكونات المجتمع العراقي ومساندة العشائر العراقية الأصلية لقوى الامن من خلال تشكيل مجالس الصحوات لمواجهة جماعات العنف في المناطق الساخنة وهذا ما حصل بالفعل في (بغداد– ديالى– الانبار– الموصل – صلاح الدين) ، الى مدة تجدد العنف بعد فاجعة سبايكر وما تلاها من سقوط مدن كاملة تحدت سطوة العصابات المسلحة تحت مسمى الدولة الاسلامية في العراق (داعش) وهذه المدن هي : الموصل وصلاح الدين والانبار وديالى بعد أحداث جزيران ٢٠١٤ .

الفصل الثالث : الاطار المنهجي للدراسة

المبحث الاول / الاطار المنهجي للدراسة:

اولاً: منهجية الدراسة: لا يمكن لأي باحث ان يقوم بأي دراسة علمية من غير أن يتبع منهجاً معيناً لإجراء دراسة، فتحديد المنهج جزء مهم في الدراسات الانثروبولوجية والاجتماعية وخطوة أساس من خطوات البحث العلمي.

والمنهج ترجمة للكلمة الفرنسية (Method) التي ترجع في الاصل الى الكلمة اليونانية (Ueqoos) و يستعملها الفيلسوف اليوناني افلاطون بمعنى البحث أو المعرفة. فالمنهج هو الطريقة التي يتبعها الباحث لدراسة المشكلة موضوع الدراسة (حافظ، ١٩٨١، ص ٥).(Hafez, 1981,p5)

ويهتم المنهج بعدد من القواعد والمعايير التي توضع من أجل الوصول الى الحقيقة لذلك فهو يمثل جوهر العلم وبدونه يستحيل الوصول الى المعرفة الصادقة الموضوعية.(حافظ،١٩٨١، ص١٨) (Hafez,1981,p18)

ولأهمية موضوع الدراسة وتداخلاته، استخدمنا أكثر من منهج واداة للبحث في خطوة للإحاطة به بشكل دقيق، وجمع البيانات عن هذا الموضوع ، ومن أهم هذه المناهج المستخدمة هي :

١. منهج الفهم الذاتي والتحليل المعرفي (Ethnos Science) :

يعد هذا المنهج من أهم المناهج في الفكر الانثروبولوجي الذي يرتكز على اكتشاف الطريقة التي ينظم بها الأفراد ثقافاتهم وطريقتهم في استخدام الثقافة، فهو يهتم بالبحث عما يتصوره الناس ويفكرون فيه وطريقة تفكيرهم وأسلوب ادراكهم للأشياء والمبادئ التي تكون وراء التفكير وهذا التصور.

إذ أن الانسان من خلال المعرفة يبني لنفسه عالماً معقولاً يصف فيه الاشياء المختلفة والمتعددة. و المنهج المعرفي وما يسمى بمنهج الفهم الذاتي يعد منهجاً انثروبولوجياً معاصراً يستخدم في دراسة الظواهر والثقافات في المجتمعات المعاصرة.

قد تبلور هذا المنهج ما بعد البنائية الوضعية في منتصف القرن العشرين بسبب تغير العالم الجديد وثورة المعلومات التي غيرت المجتمعات، ومن رواد هذا المنهج الانثروبولوجي الامريكي (لويس اوسكار) الذي يعتقد أن فكرة هذا المنهج هي الأخذ بالمعلومات والأفكار التي ينطبق بها المبحوثون ومدركاتهم العقلية للأشياء دون اسقاط الباحث مكونه البنائي عليهم.

قد وضفنا هذا المنهج لمعرفة الكثير من مظاهر العنف المسلح في مجتمع الدراسة وأبرز العوامل والأسباب التي تقف وراء العنف المعاصر كما يعتقد المبحوثون ووفقاً لبنائهم المعرفي في فهم الثقافة وحيثياتها.

(البياتي:٢٠٠٨،ص١٨) (Al Bayati,2008,18)

٢. المنهج الوصفي :

يعد من أدق المناهج العصرية الحديثة إذ يعتمد على الوصف الدقيق لمشكلة معينة يتخللها الغموض والالتباس في اسبابها واهدافها واختلاطها بمفاهيم اخرى. فهو يبحث في الظاهرة و مسبباتها والدخول في عمقها بغية الوصول الى الحلول الناجحة. فالمنهج الوصفي يهدف الى جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة أو موقف معين مع محاولة تفسير هذهِ الحقائق تفسيراً كافياً.

و لا تنحصر أهداف الدراسات والبحوث الوصفية في مجرد جمع الحقائق وانما تهدف الى تحليل هذهِ الحقائق تحليلاً دقيقاً للوصول الى تعميمات بشأن الموقف أو المشكلة (موضوع الدراسة).

وبما أن العنف بات مشكلة واقعية في المجتمع العراقي فقد استخدمت هذا المنهج المعاصر لدراسة هذهِ الظاهرة لجمع الحقائق والمعلومات حول هذهِ الظاهرة ووصفها لغرض التوصل الى

العوامل والاسباب المؤدية الى العنف المسلح ومن ثم وضع الحلول المناسبة لها. (حافظ، ١٩٨١، ص ١٤٠). (Hafez, 1981,p140).

ثانياً : أدوات جمع البيانات والمعلومات :

تتميز الأبحاث الانثروبولوجية بتعدد الأدوات العلمية لجمع البيانات والمعلومات فقد استخدم علماء الانثروبولوجيا الاوائل العديد من الأدوات لجمع المعلومات ومعرفة الحقائق ومن أهم تلك الأدوات المعمقة التي سنستخدمها في دراستنا و موضوع بحثنا عن العنف و الارهاب وهذهِ الأدوات بدورها توفر بيانات واسعة عن أي مجتمع او ظاهرة يراد دراستها.

١- الملاحظة Observation :

ترتبط الملاحظة ارتباطاً وثيقاً بالانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، فهي إدارة شائعة في حياتنا اليومية. ومن خلالها نتعلم أشياء كثيرة ، ونستطيع تحديد المواقف واستنتاج الادلة فالعلم يبدأ بالملاحظة، والملاحظة العلمية تتمثل في محاولة منهجية يقوم بها الباحث للكشف عن تفاصيل الظواهر.

ومن خصائصها المميزة امكانية التكرار فهي مصدر أساس من مصادر الحصول على البيانات، وتزداد قيمة الملاحظة كأداة للبحث العلمي في الموضوعات الحساسة التي يتوقع فيها مقاومة الافراد لها يوجه اليهم من اسئلة، أو عدم تعاونهم مع الباحث والامتناع عن الاجابة أو اللجوء الى تحريفها.

فالملاحظة : وسيلة مهمة من وسائل جمع البيانات في البحوث الانثروبولوجية وضرورة استخدامها في الدراسات الميدانية وقد ساعدنا هذا المنهج كثيراً في تسجيل مظاهر السلوك . (حافظ، ١٩٨١، ص٦٦). (Hafez, 1981,p66)

٢- المقابلة المعمقة: Depth Interview :

تعد المقابلات التي يقوم بها الباحث مع المبحوثين من اكثر الادوات شيوعاً في الدراسات الانثروبولوجية وحتى السوسيولوجية، إذ أن معظم البحوث في الوقت المعاصر قد اعتمدت على المقابلات المعمقة مع المبحوثين. والمقصود بالمقابلة المعمقة انثروبولوجياً هي مقابلة حرة او مفتوحة بين شخص قائم بالمقابلة وبين المبحوث ، ولا يتقيد فيها بشكليات الاعتماد على كشف الاسئلة المعدة مسبقاً وانما يترك الحرية للمبحوث ان يتحدث بحرية. (حافظ ، ١٩٨١، ص ٧٢). (Hafez, 1981,p72)

فالمقابلة : هي تفاعل بين الباحث والمبحوث الهدف منها الاجابة على التساؤلات المحددة وصولاً الى الهدف ، ونجاح المقابلة يتوقف الى حد بعيد على اهتمام المبحوثين بالموضوع، فيشعرون أنهم يؤدون عملاً مفيداً ومن ثم استثارة دوافعهم للاستجابة، وهذا أمر ضروري عند اجراء المقابلة حيث اننا قد استعنا به في بحثنا وقد اثبت فائدته وساعدنا في الحصول على العديد من المعلومات الدقيقة. والمقابلة تتكون من ثلاثة أركان أساسية وهي :

أ–الباحث القائم بالمقابلة. ب– المبحوث. ج– هدف المقابلة.

قد استخدمنا نوع المقابلة الفردية اي مع شخص واحد فقط ــ اضافة الى المقابلة الجماعية أي مع عدة اشخاص في مكان واحد، وهذا وفر علينا الجهد في الحصول على المعلومات لذا فإن المقابلة توفر لنا دقة وتعبير عن الرأي الشخصي عن موضوع الدراسة.

ثالثاً : نوع العينة وحجمها : إن نوع العينة التي اعتمدناها في البحث هو العينة العشوائية، التي تضمنت مجموعة من الأقارب والأصدقاء وأصحاب المحال التجارية في المنطقة والناس الذين قد تعرضوا هم وأسرهم الى عمليات ارهابية ــ فضلاً عن أناسٍ كانوا على اطلاع واسع بأعمال المجموعات الارهابية، وقد اختيرت هذه العينة بطريقة تتناسب مع طبيعة الاحياء التي كانت العملية الارهابية منتشرة فيها، وتواصلت الباحثة في الدراسة مع (٤٠) شخصا وهم عينات البحث، وبلغت حالات عدم الاستجابة (٧) أغلبها كانت في المناطق أو الاحياء التي كانت ساخنة، وحجم العينة التي قد استجابت (٣٣) شخصا ، وهذا يتناسب مع طبيعة المنطقة التي درسناها من الدورة وهي (المهدية الاولى – المهدية الثانية – الطعمة).

رابعاً : أبعـــــاد الدراسة:

١– البعد الزماني : وهذا يوضح المدة الزمنية التي استغرقتها في كتابة وتوفير مادة البحث الخاصة بي تحت عنوان (العنف و الارهاب) إذ بدأت بدراستي بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/١، واكملتها بفضل الله تعالى بتاريخ ٢٠١٤/١٠/٢٨م.

٢– البعد المكاني : ويوضح البعد المكاني المنطقة التي تمحورت دراستي حولها، كما موضح في بحثي. اذ اخترت منطقة الدورة، التي اعتمدت منها في دراستي على المهدية الاولى والمهدية الثانية والطعمة.

الفصل الرابع : مؤشرات العنف المعاصر في المجتمع العراقي بعد عام ٢٠٠٣ – مدينة الدورة

المبحث الاول / مظاهر العنف المسلح:

شهد العراق عبر مراحله التاريخية المختلفة أعمال عنف سياسي و مجتمعي ظهرت آثاره على المجتمع.

فالعنف (Violence) قد ضرب جميع مكونات المجتمع العراقي واطيافه، فالعنف في العراق عموماً ليس له هوية ولا يعرف ديناً او طائفة او قومية او منطقة جغرافية معينة.

والعنف في (الدورة) قد استهدف الجميع، فضرب الشباب والكبار والنساء والاطفال وعموم الاطياف جميعاً، اذ ضُرِبَت الجوامع والحسينيات والعامة والنخب والكفاءات، والاسواق والنباتات والازقة والشوارع والمدنيين والعسكريين والطلبة والموظفين..... الخ.

فالعنف هي الظاهرة الأبرز هناك، إذ ان المدينة قد اصبحت مدينة أشباح لا يجوب بها إلا المسلحون خاصة في عامي ٢٠٠٥-٢٠٠٦ فمؤسسات الدولة شبه معطلة هناك.

فلا توجد هناك دائرة وظيفية مفتوحة يعمل بها الناس، والأسواق أو محلات البيع إلا قليل والأهم من ذلك كله عدم وجود مراكز للشرطة لحماية المواطنين وإن وجدت فهي غير فاعلة لقلة عددها وقلة المنتسبين إليها وهذا الوضع الأمني المتردي في المنطقة سمح للجماعات المسلحة بممارسة التهديد والقتل لكل من لا يعمل معهم أو على الأقل لا يؤيدهم رافعين شعار مقاومة المحتل وقتل الخونة والعملاء غطاءاً لهم لكسب المزيد من تأييد وعواطف بعض من الناس.

فالباحثة هنا ستحاول عرض أهم مظاهر العنف المسلح وما قامت به جماعات العنف في مدينة (الدورة) من عمليات قتل وتهجير وتفجيرات للعديد من الأماكن المختلفة.

أما أبرز مظاهر العنف المسلح خاصة في أعوام الجمر والنار (٢٠٠٥-٢٠٠٦-٢٠٠٧) فهي ما يأتي:

أولاً : القتل على الهوية:

كثيراً ما كانت الجماعات المسلحة تشيع مناخاً من الفوضى والارهاب في مدينة (الدورة) من خلال سيطرتها على العديد من أحياء المدينة فكانت هذه الجماعات تقوم بعمليات قتل مختلفة على أساس الطائفية أو القومية ومن خلال المقابلات التي أجريتها لعدد من المبحوثين تبين أن العديد من المواطنين الذين يعملون في مدينة (الدورة) قد عملوا بأسماء مستعارة حيث غيروا أسماءهم

وعشائرهم وبعضهم حمل هويتين أو اكثر الأحوال المدنية خوفاً من الهجمات من الجماعات في العديد من الطرق والشوارع و قتلت هذه الجماعات عدد من المواطنين على أساس اسمائهم أو عشائرهم ضناً منهم ان هذا الاسم أو هذهِ العشيرة تمثل طائفة أو قومية معينة أو اتجاه سياسي معين. وكان من أبرز الذين عملوا بأسماء غير أسمائهم هم (الصحفيون) بسبب التهديدات والاستهداف المتكرر ، فقد قتل أكثر من ستة صحفيين هناك.

وفي مقابلة أجرتها الباحثة مع أشخاص عملوا في دائرة الطب العدلي أكدوا أن أغلب من قتلوا في منطقة (الدورة) من المواطنين الأبرياء، وكان يمثل بجثثهم من تلك الجماعات أو تضرب بأطلاق الرصاص على الرأس وتهشم جماجمهم، او يذبح الشخص ويقطع رأسه...الخ من مظاهر التعذيب و القتل.

وقد استحصلت بعض الاحصائيات عن آثار ونتائج العنف وما خلفه في هذه السنوات الساخنة . وهي كما يأتي:

١. عدد ضحايا العنف (الشهداء) من عام (٢٠٠٤-٢٠٠٨)(٥١٦٧٥)
٢. عدد ضحايا العنف لمجهولي الهوية المفقودين من عام (٢٠٠٤-٢٠٠٨)(٨٩٨٩)
٣. عدد القتلى من الامريكان والقوات المتحالفة معها من عام (٢٠٠٤-٢٠٠٨)(٣٩٣٨)

ثانياً : تحريم الانخراط في الأجهزة الامنية العراقية والتهديد بالقتل :

من أجل بقاء الفوضى واستمرارية نشر الرعب والفزع على المواطنين حرمت الجماعات المسلحة الانتماء الى الاجهزة العراقية كالشرطة والجيش بل هددت بالقتل حتى الصحوات في المدينة في حال تعاونهم مع الحكومة العراقية، وقد أطلقت الجماعات المسلحة في بيانات وشعارات عديدة على أجهزة الأمن تسميات مشجعة للعنف في بيانات ضد تل الاجهزة فقد وصفت هذهِ الجماعات الشرطة الوطنية (بالشرطة اللا وطنية) بينما وصفت الحرس الوطني (بالحرس الوثني) المتعاون مع الاحتلال، ويبدو أن هذهِ الجماعات تريد أن تبقى هي من يمسك الأمن في البلاد في ظل التردي الامني وغياب القانون.

وفي إطار التهديدات لقوى الامن بترك أعمالهم وإلا فأن مصيرهم سيكون القتل، وقد ترك كثير من أفراد الجيش والشرطة أعمالهم خوفاً على أرواحهم وقلة عددهم وعدتهم في مواجهة الارهاب

والمسلحين، ويذكر أحد قادة الصحوات أن الجماعات المسلحة قد قتلت كثير من قادة الصحوات في إطار التهديدات المستمرة لأجهزة الامن.

ثالثاً: الشعارات الرمزية الداعية للعنف:

كثيره هي الشعارات التي استخدمتها جماعات العنف في العراق والشعارات والرموز (symbol)، هي جزء من ثقافة المجتمع ولا بد أن يكون لتلك الشعارات دلالات معينة لفكر معين أو معتقد يؤمن به الانسان وفقاً للتحليل الثقافي الانثروبولوجي. أما الشعارات التي كانت تستخدمها بعض الجماعات في مدينة (الدورة) التي استطاعت دراستي أن توثقها عبر الملاحظة والمقابلة مع المبحوثين فهي كثيرة إذ أن أكثر الشعارات كانت على شكل منشورات أو كتابات تكتب على جدران المنازل وشوارع المدينة و تلك الشعارات جميعها ذات دلالات على العنف وأبرز تلك الشعارات.

١- (واقتلوهم حيث ثقفتموهم)

٢- ويل للشرطة اللاوطنية والحرس الوثني.

٣- ويل للشيعة الروافض والسنة المرتدين.

٤- هذا بيت مطلوب للدم، لا يباع و لا يؤجر.

رابعاً : تهديم وتفجير المساجد والحسينيات والأضرحة والمزارات:

لما تدهورت الاوضاع كثيراً في المنطقة، ظهر نوع جديد من الاعتداءات وهو الاعتداء على المساجد والحسينيات. فلمساجد المسلمين على مر التاريخ دور فاعل في بناء الانسان من الناحية الروحية والاخلاقية من خلال حث المجتمع على القيم الاسلامية والمثل العليا التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان فالدين في المجتمعات الإسلامية أداة فاعلة في عملية الضبط الاجتماعي الى جانب الوسائل الاخرى.

المساجد من وجهة نظري في وقتنا الحالي سلاح ذو حدين فقد تكون وسيلة لتزويد المتلقي بثقافة التسامح والوئام والوحدة والمحبة بين مكونات المجتمع الواحد. أو لنشر التطرف والتعصب والعنف حيال الآخر.

أما الجماعات المسلحة من خلال توجدها وسيطرتها على مناطق معينة في الدورة قامت بأعمال تخريب وتدمير لكثير من أماكن العبادة كالمساجد والحسينيات، وكثير من المناطق الساخنة قد شهدت هذا.

وهناك أكثر من أربعة مساجد وحسينيات هدمت غصبت بنايتها بسبب أعمال التوتر المذهبي- الطائفي في المدينة.

المبحث الثاني : مصادر العنف في المجتمع العراقي- الأسباب و العوامل:

شهد العراق بعد انهيار النظام السابق في ٢٠٠٣ أزمات متعددة وفي مقدمتها ظهور موجة واسعة من اعمال العنف المستخدم بأشكال مختلفة (عمليات عنف مسلح – عمليات انتحارية – عمليات خطف الرهائن بأهداف مختلفة – عمليات التهجير القسري).

لا شك أن كثيرا من العراقيين يسألون ما الذي جعل العنف يندلع بهذهِ الصورة المخيفة والبشعة ؟ مع أن ثقافة المجتمع العراقي ومكوناته فيها كثير من المشتركات الثقافية العامة وفي مقدمتها الدين والعادات والتقاليد وعلاقات الجيرة والمصاهرة، فضلاً عن الوئام المشترك الذي يدفع بإتجاه العيش المشترك بين المكونات والطوائف في مجتمع واحد يسوده الوئام والمحبة والتعاون.

العنف المسلح المعاصر الذي ظهر في العراق الجديد لا يمكن ان يكون وليد الصدفة، وأنه من نتائج اسباب وعوامل مختلفة أدت الى ظهوره ولغرض الوصول الى عمق الظاهرة لا بد من معرفة أسبابه وعوامله التي تقف وراءه. وقد استطعت من خلال اجراء المقابلات الميدانية مع المبحوثين التوصل الى معرفة العديد من الأسباب والعوامل المسؤولة عن العنف المسلح وقد قسمت هذه الأسباب الى خارجية وداخلية وهي الآتي :

أولاً / الأسباب الخارجية : إن أهم هذه الأسباب:

أ- الاحتلال الاجنبي :

تعرض العراق في ٢٠٠٣/٤/٩ الى غزو واحتلال عسكري من الولايات المتحدة الأمريكية والقوات المتحالفة معها ، ما أدى الى خراب ودمار واضح في البلد، مما أثر في المجتمع ، فكثير من المؤسسات انهار من دون أن تحرك القوات الامريكية ساكناً لإيقاف هذهِ التجاوزات والعمليات التخريبية ــ بل فتحت الابواب أما المستغلين.

وجود الاجنبي في أي وطن كان عندما يأتي مسمى (محرر) أو (محتل) سوف يثير عند ابن الوطن احساس الذل والهوان والتحقير وهذا يدفع بالمواطن الى ممارسة العنف ليس فقط ضد المحتل بل ضد من يستميلهم المحتل من الناس خشية ان يتفرد المتعاونون معه بالسلطة والمصالح، ومن هنا يحدثنا التاريخ انه حيثما حكمت بغداد سلطة أجنبية ساد العنف أرجاء العراق.

لقد أشار عدد من المبحوثين اثناء المقابلة معهم الى أن قوات الاحتلال قد أدت الى إثارة مشاعر العنف من خلال قيامهم بما يأتي:

١- القيام بالاعتقالات العشوائية لعدد كبير من المواطنين دون ذنب أو جريمة تذكر.

٢- عمليات القتل التي قامت بها قوات الإحتلال في مختلف مناطق العراق وتهديم بعض الدور والمنازل على أهلها فضلاً عن جرائم الاغتصاب التي حصلت في بعض السجون.

٣- الفراغ الأمني من خلال حل الجيش العراقي و المؤسسات الأمنية الأخرى ومما سبب وجود عدد من العاطلين والبطالة، فضلاً عن السماح للناس بالاستيلاء على المتفجرات والاسلحة من معسكرات النظام السابق، فالاحتلال كان مصدراً رئيسياً للعنف. (نخبة من الباحثين،٢٠٠٩،ص٢٩٢) (Selected researchers, 2009,p292)

ب- تدخل دول الجوار العراقي :

أدت الدول المجاورة للعراق دوراً واضحاً في شؤون العراق الداخلية فوظفت العديد من هذه الدول الطاقات الانتحارية والمادية والسياسية والافتائية في العراق والدليل على أن لهذهِ الدول المجاورة دورا فاعلا في القرار السياسي العراقي واستقرار الأمن العراقي هو تكرار الزيارات لكبار المسؤولين العراقيين وقادة الكتل السياسية الى هذهِ الدول للتباحث في تشكيل الحكومة العراقية حتى بعد انتخابات عام ٢٠١٠م و٢٠١٤م. فضلاً عن عائدية الاليات المستخدمة من التكفيريين التي كان بعضها مستوردا من دولها المنتجة تحت مسميات تعود لبعض دول الجوار، فضلاً عن كتب المخاطبات التي وجدت في أوكار بعض التكفيريين .

أدى انفتاح الحدود مع دول الجوار الى تدفق كثير من المقاتلين العرب والاجانب الى العراق، وفي مقابلة أجريتها مع بعض المنتسبين العسكريين المسؤولين عن أمن المنطقة، أوضحوا انه قبض على العشرات من المقاتلين المتسللين عبر الحدود من جنسيات عربية واجنبية.

وأدت امكانية العراق الاقتصادية وثرواته الكبيرة في بعض الاحيان الى تدخلهم في الشأن العراقي، وتدخلهم هذا يكون بالقوى السياسية غير الرسمية في بلدانهم، وأصحاب الأعمال التجارية أو عن طريق المتمرسين في عالم الجريمة، فهناك دعم في الشبكات الاقليمية ومن الجماعات الاسلامية التي يتوجد فيها المتطوعون للأعمال الارهابية أو الانتحاريين ومهربي الاسلحة إذ تقوم هذه الشبكات

بتزويدهم بالتدريب والخبرة في مجال الهجمات بالسيارات المفخخة، فهؤلاء المتطوعون يسهمون في أعمال العنف.

اما اسباب تدخل دول الجوار وتغذية العنف، فمن وجهة نظر المبحوثين هي للأسباب الاتية :

١- الخوف من التجربة الديمقراطية في العراق والنظام السياسي الجديد، فهناك تخوف من هذهِ التجربة التي ستطيح بالعديد من أنظمة هذهِ البلدان.

٢- التهديدات الامريكية المتكررة لهذهِ البلدان، والخوف من إتخاذ العراق قاعدة امريكية لاحتلال العراق والدول الاخرى، لذا فأصبح العراق ساحة تصفية النزاعات بين المتخاصمين.

٣- إفتاء بعض رجال الدين في الدول المجاورة بالمقاومة والجهاد ضد الاحتلال وتحت هذهِ المسميات قتل الالاف من العراقيين وفجرت المئات من المباني والمؤسسات.

ثانياً :الاسباب الداخلية : وتقسم الى اقسام وهي:

١- العوامل الاجتماعية: نقصد بها البيئة الاجتماعية والثقافة التي تحيط بالفرد (كالأسرة، العمل، الاصدقاء) فعلى سبيل المثال فإن التفكك الاسري له دور كبير في انحلال القيم والمعايير، وهذا يدفع الفرد الى أن يكون عرضة للانحراف والجريمة وممارسة العنف من خلال توفير المغريات المادية والمعنوية وبذلك سوف يتعلم الفرد ممارسة العنف عن طريق التقليد والاختلاط مع هذه الجماعات. فكثير من الافراد الذين لم يمارسوا العنف من قبل قد تدربوا وتعلموا العنف على يد جماعات العنف، تعلم كيفية القتل والاغتيال، وزرع العبوات الناسفة وتفخيخ السيارات وتفجيرها.

٢- العوامل الاقتصادية : تؤدي العوامل الاقتصادية دوراً فعالاً ايضاً الى جانب العوامل الاجتماعية فهي توفر المناخ المناسب للعنف. فكثير من الافراد انخرطوا في أعمال العنف والارهاب المسلح، كان أغلبهم من المناطق الفقيرة الناتجة من الفقر والبطالة والعوز المادي الذي عانى منه العديد ممن هاجروا الى منطقة الدورة بحثاً عن عمل لأنها منطقة فيها مستوى تجاري عالي فإن اغلبهم من الفقراء مادياً، اما البطالة فكانت تلعب دوراً اكبر في دفع الشباب الى هذا الطريق والدليل على هذا ان الكثير من الذين كانوا يعملون في هذه الجماعات المسلحة انظموا الى الصحوات وتركوا العمل المسلح بعد ان وفرت لهم الدولة مستوى معيشي يكفل لهم الحياة الكريمة.

٣- عامل الجهل والأمية: يعد الجهل والأمية ايضاً خصبة لكل أنواع التطرف والتعصب الديني أو السياسي فغالباً ما تستغل جماعات العنف والارهاب الجهلاء والاميين من الناس لبث أفكارهم وغسل أدمغتهم بحجة الدين ومقولات الجهاد والمقاومة لإضفاء الشرعية على اعمالهم، ولتوظيف ذلك في أعمال طائفية أو سياسية ضد الآخرين بحجة (العمالة والخيانة والتعاون مع المحتل) .

اثبتت المعلومات أن غالبية جماعات العنف والارهاب هم ممن يعانون الجهل والامية وقلة الوعي فأغلبهم لا يمتلكون تحصيلا دراسيا يجعلهم يفكرون في نتيجة ما يفعلونه الأمر الذي جعلهم فريسة للمتطرفين والمتعصبين للعنف.

الفصل الخامس : النتائـــج والتوصيـــــات والمقترحـــات

المبحث الاول / نتائـــج الدراسة:

بناءاً على ما تقدم توصلت الدراسة الى عدة نتائج منها :

١- تبين أن العنف والارهاب المسلح في العراق بعد ٢٠٠٣ أخذ عدة أشكال، فهناك القتل على الهوية والتهجير الطائفي، وعمليات اختطاف وسطو مسلح ، وتفجيرات انتحارية واغتيالات سياسية، فالعنف كان له صور عديدة واهداف مختلفة.

٢- تبين أن مؤشرات العنف ارتفعت من عام ٢٠٠٦ الى ٢٠٠٨ إذ أن سلطة الدولة كانت ضعيفة كلما رجعنا بهذهِ السنوات والفراغ الأمني الذي شهده البلد، شهد على ظهور الجماعات الارهابية والميليشيات، وما بعد عام ٢٠٠٨ فإن وتيرة العنف انخفضت وقامت عدة عمليات عسكرية ضد هذهِ الجماعات وبرز ما يُسمى المصالحة الوطنية والصحوات التابعة للدولة.

٣- تبين أن العنف بسبب الارهاب كان أقل نسبياً من الضحايا من الأمريكان أو قوات الاحتلال وهذا يعني أن المستهدف بالعنف كان المجتمع العراقي ، أما الجهاد والمقاومة فقد عملت بشكل صحيح لكن بنسبة قليلة مقارنة بأعمال العنف.

٤- العنف والارهاب قد سببّ هجرة الالاف من العراقيين داخل العراق وخارجه حفظاً لحياتهم إضافة الى هجرة كثير من الكفاءات (أساتذة جامعات – أطباء – قضاة – مهندسين.... الخ).

٥- العنف الذي حصل في العراق لا يمكن رده الى سبب واحد بل أسباب عدة أهمها:

أ. الاحتلال الاجنبي للعراق

ب. تدخل دول الجوار

ت. تبين أن العنف ليس له شكل واحد، فالعنف استهدف كثيرا من الطوائف والأثنيات من :(المدنيين والعسكريين، الرجال والنساء والاطفال) واستهدف العنف الاماكن جميعها من (الاسواق والبنايات والجسور) والجوامع والحسينيات والاضرحة والمزارات والوزارات والجامعات... الخ) فلم يتبق مكان في بلدنا لم يستهدفه العنف.

تبين ان العنف الذي حصل في العراق هو (عنف طائفي) بالدرجة الاولى قبل ان يكون (عنف سياسي) بالمرتبة الثانية.

تبين أن أغلب أعمال العنف كانت ناتجة عن دعم خارجي اقليمي لا سيما دول الجوار وكان هذا الدعم مادياً وبشريا أو ثقافيا متمثلا بفتاوى الجهاد وفتاوى القتل.

المبحـــــث الثاني / التوصيـــات والمقترحات

أولاً : التوصيـــات :

١- ضرورة نبذ العنف بكل أنواعه ابتداءاً من العنف الأسري وصولاً الى العنف المسلح وتفعيل دور التفاهم بدلاً من ممارسة العنف في حل المشكلات.

٢- الدعوة الى التسامح مع الآخر من خلال المؤسسات التربوية والاعلامية لما لها من دور ايجابي فضلاً عن دور منظمات المجتمع المدني الدولية والمحلية الناشطة في هذا الشأن، لضرورة العيش المشترك بين جميع الأطياف والمذاهب والقوميات.

٣- رفع المستوى الثقافي والتعليمي لأفراد المجتمع، والقضاء على الجهل والامية والتخلف لأنه من العوامل الدافعة لأعمال العنف.

٤- تعميق روح الانتماء الى الوطن من أجل نبذ الطائفية والعشائرية.

ثانياً : المقترحـــــات

١- اجراء دراسات ميدانية متعددة عن العنف والإرهاب في مناطق اخرى ساخنة بالعنف والارهاب واجراء مقارنات بين هذهِ الدراسات.

٢- ضرورة تجريم وتحريم فتاوى الدعوة الى الإرهاب والعنف والقتل والتكفير.

٣- تفعيل دور المؤسسات التربوية لوضع مناهج تنبذ العنف وتدعو الى التسامح بين كل أطياف المجتمع العراقي، ابتداءاً من المدرسة الى الجامعة.

٤- الحد من استيراد اللعب الخاصة بالأطفال التي تشجع على تنمية العنف في نفوس الاطفال الى غير ذلك من المسلسلات والافلام التي تنمي ثقافة العنف و الارهاب.

٥- دمج الوقفين (السني) و (الشيعي) بوقف واحد للحد من ظاهرة العنف والارهاب بين مكونات المجتمع العراقي مع مراعاة خصوصية كل مذهب من المذاهب.

References

-Ibn Mnadour,(1988), The tongue of the Arabs, Dar Arabs Tongue, Beirut, volume (1-4).

- Abu Zaid, Ahmed, (1978), Lectures in Cultural Anthropology, Dar al-Nahda al-Arabiya, Beirut.

- Zahlawi, Elias,(1980) Society and Violence, University Institution for Studies and Publishing, Beirut.

- Al-Fatlawi, Suhail,(2002), Terrorism and International Terrorism, Cultural Affairs office 1st ed, Baghdad.

– Attieah, Ahmed, (1968), Political Dictionary, Dar al-Nahda Arab, Cairo, I 3.

- Bin Khaldun, Abdul Rahman, (without a year printed), 3rd ed, Introduction, the investigation of Ali Abdul Wahid Wafi, Dar al-Nahda, Cairo.

- Salloum, Saad,(2008), Scapegoat of redemption, Journal of Pathways, p. 3, special issue on the war, Baghdad.

- Jamel, Dr. Asmaa,(2007), Social Violence, House of Cultural Affairs, Baghdad, 1st ed.

- Al-Saleh, Qassem Hussein,(2008), The theory of Al Wardi is no longer valid, International Information Network (Internet), at http://www.radiodijla.com

- Hafez, Dr.Nahida Abdel-Karim, (1981), Introduction to the design of social research, Al-Ma'aref Press, Baghdad.
- Al-Bayati, Dr.Alaa,(2008),Anthropological Research Methods, Lectures on higher Students (Masters).
- Selected researchers,(2009), Ali Al-Wardi and the Iraqi project, the Egyptian Foundation for Iraqi Book, Baghdad.

المصادر :

- ابن منظور، (١٩٨٨م)، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، مجلد (١-٤).
- أبو زيد، د.احمد، (١٩٧٨م)، محاضرات في الانثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت.
- عطيه ، أحمد، (١٩٦٨م)، القاموس السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٣.
- جميل، د.أسماء ، (٢٠٠٧م)، العنف الاجتماعي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١.
- زحلاوي، إلياس، (١٩٨٠م)، المجتمع و العنف، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت .
- الفتلاوي، سهيل، (٢٠٠٢م)، الارهاب والارهاب الدولي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١.
- سلوم، سعد، (٢٠٠٨م)، كبش الفداء، مجلة مسارات، ع٣، عدد خاص عن الحرب، بغداد.
- بن خلدون، عبد الرحمن، (بدون سنة طبع)، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، القاهرة، ج٢، ط٣.
- البياتي، د.علاء، (٢٠٠٨م)، مناهج البحث الانثروبولوجي، محاضرات القيت على طلبة الدراسات العليا (الماجستير).
- الصالح، قاسم حسين، (٢٠٠٨م) نظرية الوردي لم تعد صالحة، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)،على الموقع الالكتروني: http://www.radiodijla.com
- حافظ ، د.ناهدة عبد الكريم، (١٩٨١م)، مقدمة في تصميم البحوث الاجتماعية، مطبعة المعارف، بغداد.
- نخبة من الباحثين، (٢٠٠٩م)، علي الوردي والمشروع العراقي، مؤسسة مصر للكتاب العراقي، بغداد.